الإنسان والحياة بعد الموت من وجهة نظر العلامة حسن زاده الآملي

سيده فاطمه اكبرزاده كوهي خيلي
ماجستير، فرع علوم القرآن والحديث، جامعة مازندران، بابلسر، إيران
tabatabaey8818@gmail.com
الدكتور مهدي تقي‌زاده طبري (الكاتب المسؤول)
أستاذ مساعد، قسم علوم القرآن والحديث، جامعة مازندران، بابلسر، إيران
mt.tabari@umz.ac.ir
الدكتور محمد مهدي شاهمرادي فريدوني
أستاذ مساعد، قسم علوم القرآن والحديث، جامعة مازندران، بابلسر، إيران
mm.shahmoradi@umz.ac.ir

Man and life after death from the perspective of Allameh Hassanzadeh Amoli

Seyedah Fatemeh Akbarzadeh Kohi kheili
M.A. in Qur'an and Hadith Sciences, University of Mazandaran , Babolsar , Iran
Mahdi Taghizadeh Tabari (responsible writer)
Assistant Professor , Department of Quran and Hadith , Faculty of Theology and Islamic Studies , University of Mazandaran , Babolsar , Iran
Mohammad Mahdi Shahmoradi Fereidouni
Assistant Professor , Department of Quran and Hadith , Faculty of Theology and Islamic Studies , University of Mazandaran , Babolsar , Iran

الملخص:-

أحد أهم القضايا التي لا مفرّ للإنسان منها هي قضية الموت والحياة بعد الموت. يري العلامة حسنزاده الآملي وهو من العلماء المعاصرين، أنّ أحوال الإنسان مرهونة بالأعمال التي قام بها في الدنيا والتي ينتج منها الجسم المكسوب أو المكتسب. إنّ الجسم المكسوب هو الوجه الطيب الذي حصل عليه الإنسان من أعماله الصالحة في الدنيا، أمّا الجسم المكتسب فهو نتيجة أعماله السيئة وغير اللائقة. تشير نتائج هذا البحث الذي تمت كتابته علي ضوء المنهج الوصفي - التحليلي إلى أنّ العلامة حسن زاده الآملي يعتقد أنّ الإنسان سيحشر بما فعله من الأعمال الحسنة والسيئة والتي أصبحت له كالملكة. كما أنّ الإنسان في عالم البرزخ يتمتع من الحياة والعلم والإدراك والإرادة الحرّة بشكل أكمل وأقوي ومن وجهة نظره، واستناداً إلى الآيات والأحاديث، فإن الكمال البرزخي أمر حتمي وقد سعي الحكماء الربّيون إلى إثبات ذلك من خلال الاستدلال العقلاني.

الكلمات المفتاحية: الجسم المكسوب، الجسم المكتسب، عالم المثال، حسن زاده الآملي.

Abstract:-

One of the most important issues that humans have to face is the issue of death and life after death. Allameh Hassanzadeh Amoli, one of the contemporary scholars, believes that the states of people after death are due to the deeds they have done in this world, which results in the body being made or acquired. An acquired body is a good form that is obtained for a person due to his good deeds in the world, and an acquired body is the result of his bad and unworthy deeds. The findings of this research, which was carried out with a descriptive and analytical method, show that according to Allameh Hassanzadeh, a person is surrounded by the absolute good or bad deeds that he has done and become a queen for him. Also, in the world of purgatory, man benefits from life, knowledge, perception and free will in a more complete and stronger way; From his point of view, based on the verses and traditions, the evolution of Barzakhi is certain and divine sages have tried to prove it through rational reasoning.

Key words: Maksoob body, Maktosab body, Alem Mede l, Hassanzadeh Amoli.

١ـ المقدّمة:ـ

تتحوّل النفس البشرية في النشأة الآخرة إلى أشكال مختلفة. تدل الحيوانات المختلفة إلى صور ملكات الإنسان. يجسّد الإنسان مع ملكاته المختلفة هذه الصور. لم يخلق أيّ شيء مستقلاً والإنسان جوهر مدرك سواء من حيث الشخصية أم من حيث التحليل العقلي ولا يفنى بتدهور هذا الجسد، ولا ترتبط تصوراته بجسمه المادي والجسدي. الإنسان هو الإنسان الأبدي (نحن موجودون للوجود). تنتقل حقيقتنا من مكان إلى آخر. وفي يوم القيامة سيحشر الإنسان بالجسد المكسوب والمكتسب.

إنّ المكسوب هو الأعمال الحسنة والمكتسبة هي الأعمال التي تتم من خلال الخدع والحيلة. وكل هذه الصور هي أفعال قام بها الإنسان في الدنيا بصورة حسنة أو سيئة. إنّ أهم الشيء هو أنّ خزينة محاولة الإنسان هي الإنسان نفسه. فبالتالي، في هذا القسم من الآيات نتناول الموضوع المهم هذا وهو أنّ الإنسان في هذه النشأة نوع وفي ذيله أفراد وفي النشأة الآخرة جنس وفي ذيله أنواع لا حد له وإنّ معناه هو ظهور الملكات البرزخية في جوهر النفس وهو تجسيد الأعمال.

ولذلك فإن الأحوال التي تحدث للإنسان يوم القيامة ترجع إلى حقيقة ما يرسله الإنسان من علم وعمل في هذه الدنيا، ولذلك فإن كل إنسان في يوم القيامة تختلف أحواله باختلاف نوع عمله منها: التألّم والتلذذ.

٢- الجسم المكسوب والمكتسب

نظراً إلى أعمال الإنسان في هذه الدنيا، فله أحوال مختلفة في القيامة. مع هذه التفاصيل، إنّ أحوال الإنسان في القيامة لا تخرج عن حالتين: إما مكسوبة وإما مكتسبة.

يعتقد العلامة حسن زاده الآملي «أنّ الجسم المكسوب هو جسم يخلقه الإنسان من خلال الملكات الحسنة. أي يحشر بصورة الإنسان. (حسن زاده آملي: ١٣٨٢، ٨٩). لذلك، إنّ الجسم المكسوب يتجلّي في صور الملكات الحسنة وهي تشير إلى"لها ما كسبت" » (حسن زاده آملي، ١٣٨٠: ١٢). أمّا الجسم المكتسب فهو جسم يحتوي فيه علي ملكات وبذور سيئة تحشر بصورة غير إنسانية (حسن¬زاده آملي:١٣٨٢، ٨٩) إنّ الجسم الذي يتمّ إجراءه عن طريق الاحتيال والخدعة وفي أشكال الملكات القبيحة فتتم تسميته بغير الصواب أو المعصية

والإثم فمن ثمّ إنّ ذلك الجسم كالأرواح وهذه الصور شبيهة بالأجسام.إنّ روح الأرواح هي النفس البشرية التي تنشأ منها تلك الصور كلّها وإنّ ما يفكر فيه الإنسان في نومه ويقظته نتيجة ملكات علومه وأفعاله، يراها في مواد صوره البرزخية. (حسن زاده آملي: ١٣٨٠، ١٢ و ١٣٧٩:٣/ ٤٣٦-٤٣٥)؛ «والاكتساب من باب الافتعال أي بالحيل والزور والخدعة. ولذلك فإن جسد المكسوب والمكستب يعود إلى الملكات والبذور التي تشير إليها الآية السابقة» (حسن زاده آملي:١٣٨٢، ٨٩).

إنّ وجه الإنسان البرزخي في الآخرة وفي عالم البرزخ إذا كان بشكل طبيعي ووفقاً للفطرة والصواب والصداقة فهو مكسوب ومرغوب فيه ويتمّ بعون الله وتوفيقه أمّا إذا سلك طريق الإثم فالله تعالى يسلب منه التوفيق فبالتالي يكون له جسم مكتسب. من هذا المنطلق، ومن وجهة نظر العلماء، إنّ الإنسان في هذا العالم نوع واحد ومتفق الأفراد أمّا في الآخرة فهو جنس له أنواع كثيرة حسب وجوه تلازمها الملكات» (حسن زاده آملي، ١٤٢٩: ٣٨). إنّ جذر هذه الأجسام محصل هنا، فإنّ الدعاء والذكر يؤثّران في الإنسان تكويناً ونحن عاجزون عن فهمه» (حسن زاده آملي، ١٣٨٧: ١٠٣).

لقد عبّر العلامة عن تبدّل وجه الإنسان في الآخرة إلى وجوه أخري مكسوبة أو مكتسبة بالتناسخ قائلاً: «في الحقيقة، إنّ محل ظهور تلك الملكات وبروزها هو الإنسان نفسه وهو يضيف قيد "الملكوتي" إلى التناسخ لكي يفصل عن التناسخ الباطل. هو يعتقد أنّ التناسخ عند القدماء من العلماء هو تجسد الأعمال وتمثّلها في النشأة الآخرة» (حسن زاده آملي، ١٣٧٧: ٦٩٢-٦٩١).

٣- أحوال الإنسان بعد مفارقة الروح

تتوعي روح الإنسان وتصحو في عالم البرزخ وتتمتع أو تتألم بالوجه الذي خلقته أفعالها وكانت تلازمه وصارت جزءاً من جوهره. يمكن للإنسان أن يلاحظ صورة أفعاله من خلال تصوراته.

٣-١-التلذذ

نظراً إلى الكثير من الآيات القرآنية، إنّ حالة من أحوال الإنسان في البرزخ هي حالة يعيش فيها الإنسان مريحاً ومتلذذاً ويستمتع بالتجاور مع صورة أفعاله ولا يبقي له خوف ولا حزن (ابراهيم: ٣٢) وهو في جوار الرحمة الإلهية خالداً. (توبه: ٧٢)

في كتاب "الكافي"، باب إدخال السرور علي المؤمنين، هناك رواية عن الإمام الصادق عليه السلام وهي: «أَبُو عَلِيٍّ الْأَشْعَرِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ فَضَّالٍ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ عَمَّارِ بْنِ أَبِي الْيَقْظَانِ عَنْ أَبَانِ بْنِ تَغْلِبَ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ حَقِّ الْمُؤْمِنِ عَلَى الْمُؤْمِنِ قَالَ فَقَالَ حَقُّ الْمُؤْمِنِ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ لَوْ حَدَّثْتُكُمْ لَكَفَرْتُمْ إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا خَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ خَرَجَ مَعَهُ مِثَالٌ مِنْ قَبْرِهِ يَقُولُ لَهُ أَبْشِرْ بِالْكَرَامَةِ مِنَ اللَّهِ وَ السُّرُورِ فَيَقُولُ لَهُ بَشَّرَكَ اللَّهُ بِخَيْرٍ قَالَ ثُمَّ يَمْضِي مَعَهُ يُبَشِّرُهُ بِمِثْلِ مَا قَالَ وَ إِذَا مَرَّ بِهَوْلٍ قَالَ لَيْسَ هَذَا لَكَ وَ إِذَا مَرَّ بِخَيْرٍ قَالَ هَذَا لَكَ فَلَا يَزَالُ مَعَهُ يُؤْمِنُهُ مِمَّا يَخَافُ وَ يُبَشِّرُهُ بِمَا يُحِبُّ حَتَّى يَقِفَ مَعَهُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ فَإِذَا أَمَرَ بِهِ إِلَى الْجَنَّةِ قَالَ لَهُ الْمِثَالُ أَبْشِرْ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ قَدْ أَمَرَ بِكَ إِلَى الْجَنَّةِ قَالَ فَيَقُولُ مَنْ أَنْتَ رَحِمَكَ اللَّهُ تُبَشِّرُنِي مِنْ حِينِ خَرَجْتُ مِنْ قَبْرِي وَ آنَسْتَنِي فِي طَرِيقِي وَ خَبَّرْتَنِي عَنْ رَبِّي قَالَ فَيَقُولُ أَنَا السُّرُورُ الَّذِي كُنْتَ تُدْخِلُهُ عَلَى إِخْوَانِكَ فِي الدُّنْيَا خُلِقْتُ مِنْهُ لِأُبَشِّرَكَ وَ أُونِسَ وَحْشَتَكَ» (الكليني،١٤٠٧: ١٩١). فمن ثَمّ، «إنّ المثال مصنوع من السرور. إنّ المثال هو الملكة الصالحة المكسوبة في الدنيا. إنّ الضمير "منه" في جملة " خُلِقْتُ مِنْهُ" يعود إلى السرور» (حسن زاده آملي، ١٣٨٢، الف: ٢١٨-٢١٧).

هناك رواية أخري نقلها أبو بصير قائلاً: سألتُ الإمام الصادق عليه السلام عن أرواح المؤمنين. قال الإمام: إنّ الأرواح في صفة الأجساد في الجنّة، إذا رأيتَها فكأنّها فلان» (الطوسي، ١٤٠٧: ١/ ٤٦٦). أي إنّهم يعرفون بالوجوه التي كانت لهم في الدنيا.

القول بأنّ المؤمنين في صفة أجسادهم في الجنة يعدّ من لطائف هذا الحديث الشريف. إنّ الجنة لها درجات وإنّ المؤمنين بما فيهم من الدرجات فهم في صفة أجسادهم في الجنة وهذا هو لطيفة من لطائف أخري لهذا الحديث (حسن زاده آملي، ١٤٢٩: ٨٨١). يعني إنّ المراتب والدرجات المختلفة التي يحظي بها الإنسان في الجنة تعود إلى أجساده هذه أو في الحقيقة تعود إلى علمه وعمله.

فهناك حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام: لا يخرج أيّ مؤمن من الدنيا إلا برضاه والله يكشف الستار ويريه مكانته ومنزلته في الجنة وإنّ الدنيا منصوبة أمامه بصورة جميلة وهو حرّ باختيار واحد منهما. إنّه يختار ما عند الله تعالى ويقول: كيف أختار الدنيا وبما فيها من المصائب؟ لقّنوا موتاكم بكلمات الفرج» (ابن بابويه، ١٤١٣: ١٣٤/١) وإنّ هذا من آثار الإيمان بالله والذي أعطاه الله الإنسان وجعله حرّ الإرادة عند الاحتضار في اختيار مكانته.

٣-٢- التألّم

إنّ التألّم هو الحالة الأخري التي يواجهها الإنسان بعد مفارقة الروح حيث بسبب الغوص في الأمور الدنيوية والتعلّق بالماديات والأعمال السيئة كأكل مال اليتيم ووجود الحقد والحسد سيجسّد عمله الذي لا يزال ملازمه وقرينه بصورة الحيّة والعقرب وغيرهما من الآفات. هذا هو سبب العذاب والتألّم. تدل هذه القضية علي تجسيد الأعمال وتمت الإشارة إليها في بعض الآيات مثل: الآية ٥٤ من سورة العنكبوت، الآية ١٠ من سورة النساء، ٥٦، البقرة و ٣٠ ال عمران و... (حسن زاده آملي،١٣٩٠: ٣٨٢-٣٨١).

لقد أشار القرآن الكريم في الكثير من الآيات إلى حالة الإنسان هذه في القيامة:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء: ٥٦).

في الكتب التفسيرية، ذيل الآية الكريمة ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ (النبا: ١٨). هناك حديث عن ابن عازب حيث قال: قَالَ: كَانَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ جَالِساً قَرِيباً مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي مَنْزِلِ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ فَقَالَ مُعَاذٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَ رَأَيْتَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً الْآيَاتِ فَقَالَ يَا مُعَاذُ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ مِنَ الْأَمْرِ ثُمَّ أَرْسَلَ عَيْنَيْهِ ثُمَّ قَالَ تُحْشَرُ عَشَرَةُ أَصْنَافٍ مِنْ أُمَّتِي أَشْتَاتاً قَدْ مَيَّزَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَبَدَّلَ صُوَرَهُمْ فَبَعْضُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقِرَدَةِ وَ بَعْضُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْخَنَازِيرِ وَبَعْضُهُمْ مُنَكَّسُونَ أَرْجُلُهُمْ مِنْ فَوْقُ وَ وُجُوهُهُمْ مِنْ تَحْتُ ثُمَّ يُسْحَبُونَ عَلَيْهَا وَ بَعْضُهُمْ عُمْيٌ يَتَرَدَّدُونَ وَبَعْضُهُمْ بُكْمٌ لَا يَعْقِلُونَ وَ بَعْضُهُمْ يَمْضَغُونَ أَلْسِنَتَهُمْ يَسِيلُ الْقَيْحُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ لُعَاباً يَتَقَذَّرُهُمْ أَهْلُ الْجَمْعِ وَبَعْضُهُمْ مُقَطَّعَةٌ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ وَبَعْضُهُمْ مُصَلَّبُونَ عَلَى جُذُوعٍ مِنْ نَارٍ وَبَعْضُهُمْ أَشَدُّ نَتْناً مِنَ الْجِيفِ وَبَعْضُهُمْ يُلْبَسُونَ جِبَاباً سَابِغَةً مِنْ قَطِرَانٍ لَازِقَةٍ بِجُلُودِهِمْ فَأَمَّا الَّذِينَ عَلَى صُورَةِ الْقِرَدَةِ فَالْقَتَّاتُ مِنَ النَّاسِ وَأَمَّا الَّذِينَ عَلَى صُورَةِ الْخَنَازِيرِ فَأَهْلُ السُّحْتِ وَأَمَّا الْمُنَكَّسُونَ عَلَى رُءُوسِهِمْ فَأَكَلَةُ الرِّبَا وَالْعُمْيُ الْجَائِرُونَ فِي الْحُكْمِ وَ الصُّمُّ الْبُكْمُ الْمُعْجَبُونَ بِأَعْمَالِهِمْ وَ الَّذِينَ يَمْضَغُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ فَالْعُلَمَاءُ وَ الْقُضَاةُ الَّذِينَ خَالَفَتْ أَعْمَالُهُمْ أَقْوَالَهُمْ وَ الْمُقَطَّعَةُ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ الْجِيرَانَ وَ الْمُصَلَّبُونَ عَلَى جُذُوعٍ مِنْ نَارٍ فَالسُّعَاةُ بِالنَّاسِ إِلَى

السُّلْطَانِ وَالَّذِينَ هُمْ أَشَدُّ نَتْناً مِنَ الْجِيَفِ فَالَّذِينَ يَتَمَتَّعُونَ بِالشَّهَوَاتِ وَاللَّذَّاتِ وَيَمْنَعُونَ حَقَّ اللَّهِ فِي أَمْوَالِهِمْ وَالَّذِينَ يَلْبَسُونَ الْجِبَابَ فَأَهْلُ التَّجَبُّرِ وَالْخُيَلَاءِ. (المجلسي،١٤٠٣: ٨٩/٧).

في أحاديث المعصومين عليهم السلام هناك إشارات كثيرة إلى هذه القضية منها الروايات التي تشير إلى تجسيد الأعمال أو الملكات كالرواية التي ينقلها داود بن فرقد عن أخيه: «وَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ عَنْ دَاوُدَ بْنِ فَرْقَدٍ عَنْ أَخِيهِ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع يَقُولُ إِنَّ الْمُتَكَبِّرِينَ يُجْعَلُونَ فِي صُورَةِ الذَّرِّ يَتَوَطَّأُ بِهِمُ النَّاسُ حَتَّى يَفْرُغَ اللَّهُ مِنَ الْحِسَابِ» (ابن بابويه، ١٤٠٦: ٢٢٢).

يحشر الإنسان بأشكال مختلفة في المحشر. إنّ أعمالنا كالبذور وإنّ الحشر المختلف يعود إلى هذه البذور المكتسبة. يشرح العلامة حسنزاده الآملي قائلاً: «هناك علاقة بين ملكات النفس مع الصور البرزخية. ليس لكل أحد طريق إلى فهم هذه العلاقة. إنّ الوضوء الذي نحن نتوضأ يتجسد في ذلك العالم بشكل حور. كما أنّ الجهاد الذي يقوم به المجاهدون يتجلّي في ذلك العالم بشكل النور» (حسن زاده آملي، ١٣٧٥: ٤٤١-٤٣٩؛ و ١٤٢٩: ٩٣٤).

هناك حديث آخر عن الإمام السجاد عليه السلام في الصحيفة السجادية حيث قال: «يروي الإمام علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه عندما كان في علي المنبر نام نوماً خفيفاً وفي عالم الأحلام رأي بعض الناس كالقرد يقفزون علي منبره ويدعون الناس إلى العصر الجاهلي والقهقراء» (انصاريان، ١٣٨٢: ٢٤).

يشرح السيّد العلامة حسن زاده الآملي هذا الحديث بأنّ كشف باطن الناس من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله يعود إلى أولاءك الأفراد أنفسهم قائلاً «إنّ الناس الذين يقفزون علي منبر الرسول كانوا بني أميّة. في الواقع، هكذا أظهرتهم بواطنهم والملكات القبيحة التي اكتسبوها» (حسن زاده آملي، ١٤٢٩: ٩٢٩ و ٩٣٠).

يعود هذا النوع من الكشف إلى الملكات الساترة في الأفراد. يمكن فهم هذه القضية في حديث آخر وهو: «كان قد جلس رسول الله صلى الله عليه وآله مع أصحابه في المسجد وسمعوا صوت سقوط مهيب وخافوا، فَقال صلى الله عليه وآله: «تَدرونَ ما هذا؟» أي: سبب هذا الصوت؟ فقالوا: اللهُ ورسولُه أعلمُ، ثمَّ بَيَّن لهم النَّبيُّ صلى الله عليه وآله: أنَّ هذا السَّاقطَ الَّذي سَمعوا صَوْتَه هو حَجرٌ رُميَ به في النَّارِ منذُ سَبعينَ «خريفًا» والمرادُ به العامُ، فهوَ يَهوِي ويَسقُطُ في النَّارِ الآنَ، حتَّى انتَهى

إلى قَعرِها، فوقَع في أسْفلِها ونِهايتَها. فلم ينته كلام النبي حتى أتي خبر أنّ منافقاً من منافقي المدينة مات. قال رسول الله ﷺ: الله أكبر. ففهم الصحابة أنّ المنافق مات ومنذ أن خلقه الله كان يذهب إلى الجحيم؛ ثم لما مات وضع في أسفل جهنم قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ (النساء/ ١٤٥).

«يبدو من هذا الحديث أنّ جهنم هي باطن الدنيا. إنّ سقوط المنافق في جهنم يعني أنّ أحوال ذلك المنافق هي ملكات سيئة. إنّ الوصول إلى درك جهنم هو حقيقة المال ورأسماله. لقد سقط في صورة جهنم التي صنعها. وعندما تمكن الصحابة من سماع الحادثة الرهيبة، في الحقيقة كانت تصرّف رسول الله ﷺ في آذانهم. حيث إنّهم سمعوا تمثل ملكات ذلك المنافق بشكل صوت رهيب» (حسن زاده آملي، ١٤٢٩: ٩٢٩-٩٣٠) يحدث كثيراً للسالكين كشف أحوال الناس بطريقة قبيحة أو جميلة. لعدة مرات لقد رأى العلامة حسن زاده الآملي رجلاً على هيئة ضبع في كثير من تمثلاته، وتبين أنّ ذلك الرجل كان مرابياً. ذلك فضل الله يوتيه من يشاء (المصدر نفسه).

٤- علاقة النفس والجسد في عالم البرزخ

لا يعتقد العلامة حسن زاده الآملي أنّ ساحات الإنسان الوجودية تنفصل عن طبيعته الدنيوية في عالم البرزخ ومثل غيره من الفلاسفة المسلمين، في تحديد طبيعة الإنسان البرزخي، يشرح العلاقة بين النفس والجسد بناءً على مبادئ الحكمة المتعالية و يؤمن بأن جسد الإنسان البرزخي على طول جسد الإنسان الدنيوي ومتحد بالنفس (حسن زاده آملي، ١٣٨٠، ج ١: ٣١٢). إن التعرّف علي طبيعة الإنسان البرزخي يمكن يكون معتمداً على الفهم العميق والدقيق للتغيرات الوجودية الإنسانية ومتأثراً بالعلاقة بين النفس والجسد.

إنّ العلامة حسن زاده، باعتباره حكيمًا نئوصدارئياً، بعد أن قبل العديد من الأسس الفلسفية للحكمة المتعالية مثل أصالة الوجود وتشكيكه، والحركة الجوهرية، وجسمانية الحدوث، وروحانية بقاء الروح، يقوم بشرح علاقتها بالجسد في عالم المادة وماوراءها حيث إنّ الجسد فيها واقع في المرتبة النازلة للنفس و«في الحقيقة إنّ الروح متجسدة والنفس متجسمة» (حسن زاده آملي، ١٣٨٠، ج ١: ٣١٢). والتغاير بينهما يلازم نوعاً من الاعتبار في التحليل العقلي (حسن زاده آملي، ١٣٨٠، ج ١: ٣٠٨). وقد قدم عدة حجج لإثبات الفرق بين النفس

البشرية والجسد المادي (حسن زاده آملي، ١٣٨٠، ج ١: ٢٩٦-٢٨١). حيث إذا لاحظنا الوحدة الشخصية ودرجات الإنسان التشكيكية في مسار تعاليه، نري أنّه لا تتعارض مع بعضها البعض. ومن ناحية أخرى، لا تستطيع النفس البشرية المجرّدة أن تتواصل مع هذا الجسم العنصري الطبيعي دون وسيط؛ ولذلك فهي تحتاج إلى وسيط أو وسطاء. ويعتبر العلامة، مثل ابن سينا، أنّ الروح البخارية هي الموت الأول للنفس (حسن زاده آملي، ١٣٨١، ج ٣: ٩٠).

ويعتبر العلامة، كغيره من الحكماء الإلهيين، أن الحكمة المتعالية للحقيقة الإنسانية هي جوهر روحاني أعطي لهذا الجسد المادي ليساعده على اكتساب العلوم والمعارف العقلية. إذا تعرّف الإنسان أثناء مسار كماله علي حقائق العالم والحقائق المجردة عن المادة، فإنه يترك هذا الجسد العنصري ويواصل حياته بجسده المثالي والأخروي الذي يتوافق مع عوالم الوجود العليا (حسن زاده آملي، ١٣٨٠، ج ١: ٢٨٦). فهو يعتبر الجسد منفعلًا عن الهيئات النفسانية ويعتقد أنّ النفس من حيث انتمائها إلى الجسد متأثرة به، بل ويرى أن التخيلات البشرية تسبب أيضًا انفعالات في الجسد. إنّ هذا التأثير والتأثر الثنائي له قوة وضعف لاختلاف موهبة كل إنسان وسعته، ويتطلب اختلاف الأخلاق الحميدة والسيئة في الناس. ولذلك ففي عالم الدنيا علاقة عنصرية بين النفس والجسد الطبيعي، ونفس العلاقة موجودة في عالم البرزخ بينها وبين الجسد المثالي وصفاته؛ لأنه بناء على أصالة الوجود فإن المستويات المتعددة للنفس الإنسانية، أي المستويات الطبيعية المثالية (البرزخية) والعقلية، هي حقيقة واحدة (حسن زاده آملي، ١٣٨٠، ج ٢: ٢١٦).

بناء علي ذلك، يمكن القول: إنّ صفات الإنسان الدنيوي تلازمه في العالم بعد الموت وبالإضافة إلى ذلك، يحصل علي صفات أخري بحكم التكامل البرزخي ومن هذا المنطلق، إنّ صور عالم البرزخ المثالية هي شئون النفس الناطقة وقائمة بوجود النفس وستكون علاقة النفس معها بشكل ملكية حقيقية. (حسن زاده آملي ١٣٨١، ج٥: ٢٨١) وهذا يعني أنّ النفس هي الجسد بأكمله وهما متحدان بعضهما ببعض وبحكم الوحدة الشخصية متصرفان في بعضهما البعض تلقائياً (حسن زاده آملي، ١٣٨٠، ج ١: ٣٠٨). لذلك، إنّ الروح باعتبار ربوبيتها التي لاتزال تتحمل مسؤولية تدبير الجسد، هي الحقيقة الإنسانية نفسها و ولا تخلو أبدًا من الجسد، وتكون في كل جسد متوافقة معه مثل هذه الأجساد التي تكون علي طول بعضها البعض، ولا يكون الفرق بينها إلا في النقص والكمال (حسن زاده آملي، ١٣٨٠، ج١: ٣٠٦).

إنّ كائنات العالم الطبيعي تتحدث على أساس التدرج والتطور، ومن هذا المنطلق فإن المادة وقواعدها الخاصة مرتبطة بهذا العالم الدنيوي، وعوالم ما وراء الطبيعة كانت مجردة تجرداً برزخياً أو تجرداً تاماً وهي منفصلة عن المادة و قواعدها. وبما أن عالم الآخرة يعتبر أكمل نظام إمكاني، فيمكن لكل فرد أن يخلق ما يريده بإذن الله وبحكم سعته الوجودية الخاصة دون تأخير (حسن زاده آملي، ١٣٧٧: ٥٨: ٦٧) ومن الخصائص المميزة للإنسان أنه يستطيع أن يرتقي بنفسه وجسده بالمحافظة على المستويات السابقة ويدخل إلى عالم المجردات ويوصل المسافة بينه وبين ربه إلى "قاب قوسين أو أدني" (النجم، ٨-٩) كما وصلت النفس المقدسة لحضرة خاتم النبيين وأمير المؤمنين علي عليه السلام إلى منزلة "أو أدني" (حسن زاده آملي، ١٣٨٧ب: ٢٦٨) ومن هذا المنطلق يذهب الحكماء المسلمين إلى أنّ هناك مزيد من الفروق بين البرزخ الصعودي لعالم المثال المتصل وبين البرزخ النزولي لعالم المثال المنفصل منها أنّ الصور الموجودة في البرزخ الصعودي هي فعل الإنسان الذي تنشأ من أعماله وأخلاقه ونياته وفي هذا العالم هناك طريق إلى الثواب والعقاب والجنة وجهنم والكمال (حسن زاده آملي، ١٣٩٠: ١٠٩؛ حسن زاده آملي، ١٣٨٠، ج ١: ٥٣٠) إنّ لقاء الأرواح وتعارفها بعضها البعض يتحقق في البرزخ الصعودي حيث إنّ وجود الكثرة يمكن قبوله فيه أمّا عالم المثال المنفصل فهو فعل الله حيث لا يمكن أن نتصور وجود القبيح فيه فبما أنّه عارٍ من مادة الاستعداد والتشخص فلا يدخل فيه الكثرة وإنّ هذه الحقائق موجودة فيه بشكل جماعي (حسن زاده آملي، ١٣٨٧الف، ج ٣: ٦٨٧-٦٨٤).

٥- طبيعة الإنسان في الحياة بعد الموت وفي عالم المثال

في شرح طبيعة الإنسان البرزخي كجزء مهم من العملية التكاملية لحياة الإنسان بعد الموت وفي عالم المثال، من المهم أن نتذكر أن العلامة حسن زاده، مثل معظم الحكماء المسلمين، يعدد مراتب العالم وآدم، ويقسّم عالم المثال إلى مثال منفصل (مطلق) ومثال متصل (مقيد) (حسن زاده آملي، ١٣٨١، ج٦: ٢٦٩). إنّ هذا العالم منفصل؛ لأنّه بعيد عن الإنسان وتصوراته ولا ينحصر علي الإنسان وحده ويقع في السلسلة الطولية للنظام الكوني في مرتبة ما فوق الطبيعة ومادون العالم ويشمل عالم المثال المتصل. (حسن زاده آملي، ١٣٨٧ب: ٢٩٧؛ حسن زاده آملي، ١٣٨٧الف، ج٣: ٤٨٦) كما قيل إنّ هذا العالم متصل؛ لأنّ كائناته قائمة بنفس الإنسان وتؤثّر قواها التصورية في خلقها فهو متفق مع الملا

صدرا في هذا النظر (حسن زاده آملي، ١٣٨١، ج٦: ٣٠٢-٣٠١). إنّ غرض المتكلمين والفلاسفة من عالم البرزخ هو عالم المثال المتصل؛ لأنّ الإنسان يمكن أن يحصل علي معلومات في نطاق تصوره من خلال التصرف في الصور المتخيلة وقواه النفسانية القائمة بذاته. إنّ هذه الصور تتوافق مع مثالها الأعظم في الأعيان الخارجية وتتجسّد بناءً علي كيفية تصرفات النفس وقوة الخيال وغيرها من القوات النفسانية التي تختلف مع صور الأعيان الخارجية، كما هو الحال في المرايا المختلفة التي يمكن رؤية صور مختلفة للجسم الواحد بسبب صقل الأبعاد والأشكال المتعددة. (حسن زاده آملي، ١٣٨١، ج٦، صص ٣٠٤-٢٨٧).

إنّ الصوفي يشاهد الوجود الموضوعي للحقائق في العالم الخارجي من خلال اتصاله مع عالم القدس؛ لكن الأشخاص العاديين، غير مكتملين ومحجوبون في مسارهم نحو التكامل ويرون الحقيقة في مرآة الأشياء (حسن زاده آملي، ١٣٨٠، ج ٢: ٢٥) فثمّ إنّ طبيعة الإنسان البرزخي التي قمنا بدراستها في هذا البحث مرتبطة مع عالم المثال المتصل حيث إنّ أيّ إنسان يمكن إدراكها من خلال مدي سعته الوجودية. في رؤية حسن زاده الآملي أنّ الإنسان كالعالم له مراتب وعوالم من الوجود وإنّ مراتب الإنسان الوجودية هذه، منطبقة مع العالم الكوني المتعارف عليه وعبّروا عنها بتطابق الكونين، يعني أنّ النظام الكوني متشكل من عالم الأرواح وعقول عالم المثال المنفصل وعالم الشهادة المطلقة كما أنّ في النظام الإنساني، عالم العقل، وعالم المثال المتصل وعالم شهادة الجسد المطلقة أيضاً. (حسن زاده آملي، ١٣٨٧ب: ٢٩٧؛ حسن زاده آملي، ١٣٨٧الف، ج٣: ٦٨٣). من ناحية أخري، بناء علي الرؤية الصوفية، يتصور نظام الكون بشكل مستدير والذي يتشكل من القوسين:النزولي والصعودي وبما أنّ الكون في قوسه النزولي انصرف من عالم العقول إلى البرزخ المنفصل ثم إلى عالم المادة فبالتالي إنّ الإنسان يمرّ من مرتبته المادية أيضاً وفي مسار عوالمه يصل إلى عالم المثال المتصل (البرزخ الصعودي) وعالم العقول (حسن زاده آملي، ١٣٨٦ب، ج ١: ١١٨-١١٧).

كما أسلفنا الذكر، فإنّ النفس تستطيع أن تتجاوز عن حدود عالم المادة ومواصفاته مع حركتها الجوهرية وتصلَ إلى التجرد البرزخي وفي النهاية إلى تجرد الاسم العقلي. بما أنّ للإنسان في أيّ عالم جسداً ملائماً مع تلك النشئة فهو في عالم المادة يستخدم الجسم الطبيعي العنصري، وفي قوسه الصاعد في عالم المثال، بخروجه من الجسم العنصري، سيحصل علي

جسد مثالي يناسبه. وهذا لا يعني أن الجسم المثالي ليس له تفاعل في العالم المادي؛ بل إنّ كل فعل وعمل يقوم به الإنسان في الدنيا، فهو يخلق صورة جسده المثالي انطلاقا من ملكاته النفسانية وهي ترافقه فعلاً. إنّ الذين يذهبون إلى أن النفس مجرّدة، لا يرون أنّ الأعمال باقية بسبب الحركة وتوظيف الأعضاء والجوارح المادية؛ بل ينظرون إلى جانبه الإلهي الذي يلعب دوراً في تكوين الجسد البشري الحقيقي؛ ولذلك فإن العلم والعمل في رؤية العلامة حسن زاده هما جوهران يخلقان الإنسان، حيث إنّ العلم هو خالق النفس والعمل هو خالق الجسد (حسن زاده آملي، ١٣٨١، ج٦: ٢٩٨-٢٨٩)؛ لأنّ العلم هو صورة النفس الناطقة ووجودها النوري الذي يصبح حقيقة الإنسان وصورته. إنّ شيئية الشيء ستعرف بصورتها وإنّ لكل عمل صورة تظهر في عالم البرزخ علي عاملها. في النتيجة يمكن القول إنّ صورة الإنسان في البرزخ هي غاية أفعاله في الدنيا وملكاته النفسانية التي تتشكل في صقع النفس وتعرض عليه (حسن زاده آملي، ١٣٨١، ج٤: ١٥٢؛ حسن زاده آملي، ١٣٩٠: ٤٧٧).

بما أنّ الجسم المادي يتشكل من اتحاد عناصر الهيئة الجسدية ويكتسب الموهبة والقدرة على اكتساب المعرفة، فهو يُرسم من خلال جمع الملكات النفسانية (الفضائل أو الرذائل) للهيئة الروحانية والجسد المثالي. لذلك ستتذوق الروح كل الآلام وملذاته البرزخية بجسدها المثالي الذي كان موجوداً دائمًا باطن الجسد الطبيعي والعنصري؛ لأنّ الملذات والآلام الدنيوية هي انفعالات تدخل في النفس من الخارج بينما الملذات والآلام الأخروية ستحصل للروح من خلال أفعال النفس، كما أنّ الأفعال الموجبة والسلبية للنفس يمكن أن تصدر من خلال التصورات وقواها التصورية. بناء علي هذا، إنّ ثمانية أبواب الجنة أو سبعة أبواب جهنم يمكن أن تكون قابلة للاستنباط معتمدة علي الحواس الخمسة وقوة الوهم وقوة الخيال، كما أن النفس التي تطيع القوة العقلية، وتصل إلى فهم الآيات الإلهية، مع أمير قافلتها، أي القوة العقلية، تكون أبواب الجنة للإنسان، وإذا عصت القوة العقلية، ستفتح أبواب الجحيم للإنسان.(حسن زاده آملي، ١٣٩٠: ٤١٤)؛ ومن هذا المنطلق يمكن القول: «إنّ الجسد الأخروي هو تجسم الصور الغيبية والملكات النفسانية لمواد ذلك الجسد؛ كما أنّ الجسد الدنيوي هو تجسم الصور الطبيعية وعناصر هذا الجسد المادية» وإنّ جسد الإنسان، في أيّ عالم، تلازمه الخصائص والأحكام المتوافقة له (حسن زاده آملي، ١٣٨١، ج٥: ٢٨٣-٢٨٢؛ حسن زاده آملي، ١٣٧٧: ٥٤؛ حسن زاده آملي، ١٣٨٠، ج ٢: ٥٤٣).

٦ـ النتيجة:ـ

يخلق الإنسان جسده ووجهه الأخروي بأفعاله. هذه الأجساد إما أن تكون حسنة فتسمّي مكسوبة وإما أن تكون غير انسانية على هيئة ملكات قبيحة، وتسمى مكتسبة.

إذا كان وجه كل إنسان في الآخرة موافقاً لطبيعته فهو حسن ومكسوب ومهما ابتعد عن طبيعته فله جسد رهيب ومكتسب.

تصحو روح الإنسان في عالم البرزخ وتري وجهاً تخلقه من خلال عملها لنفسها. قد يكون هذا الوجه سبباً لبهجتها وسرورها أو يكون سبباً لألمها وعذابها.

هناك الكثير من الآيات والأحاديث التي أشارت إلى هذه القضية. يستنتج من جميعها أنّ روح المؤمن المحسن في السلام والاطمئنان والسرور الدائمي أما روح الكافر والمسيء فهي في ألم وعذاب.

إنّ أحد أبرز أمثلة البهجة والسرور في الآخرة، في القرآن الكريم، هو شهداء في سبيل الله والذين عند ربهم يرزقون ولهم رزق أبدي في جوار الرحمة الإلهية.

علي الرغم من وجود التغاير بين الإنسان والجسد المادي، وبناءً على أصالة الوجود فإن المستويات المتعددة للنفس الإنسانية هي حقيقة واحدة وبناء علي نظرية الحركة الجوهرية إنّ التجاوز عن مرحلة ما يعني الحفاظ على صفات المرحلة السابقة وكمالاتها وشدتها وكمالها في المرحلة التالية لذلك يمكن القول إنّ النفس متحدة مع الجسد وبسبب الوحدة الشخصية فإنهما يمتلكان بعضهما البعض بشكل جوهري، ولن يكون الإنسان بلا جسد أبدًا، وفي كل نشأة سيكون له جسد مماثل لها.

لذلك، في عالم البرزخ، كما هو الحال في عالم الدنيا، يستفيد الإنسان من حياة علم الإدراك والإرادة الحرة بطريقة أكمل وأقوى وبناء علي ذلك، ليس للتكامل البرزخي محذور عقلي. بما أنه لا يوجد ما وراء الطبيعة جوهر وموهبة وخروج عن القوّة على الفعل، فقد تم التعبير عن التكامل في البرزخ وبعده من خلال الشريعة الإلهية، وقد حاول الحكماء الربيون إقامة حجة عقلانية عليه وكما أسلفنا الذكر إنّ العلامة حسن زاده يذهب إلى أنّ الكمال البرزخي أمر حتمي وقد سعي الحكماء الربّيون إلى إثبات ذلك من خلال آيات القرآن وأحاديث الأئمة المعصومين.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتدىء به القرآن الكريم.

١. الصحيفة السجادية (١٣٨٢). علي بن الحسين عليه السلام. مترجم: شيخ حسين انصاريان، تهران: پيام آزادي.
٢. ابن بابويه، محمد بن على (١٤٠٦). ثواب الأعمال و عقاب الأعمال. قم: نشر دار الشريف الرضي.
٣. ---------- (١٤١٣). من لا يحضره الفقيه. محقق: على اكبر غفارى، قم: دفتر انتشارات اسلامى وابسته به جامعه مدرسين حوزه علميه قم.
٤. حسن زاده آملي، حسن (١٣٧٥). نصوص الحكم بر فصوص الحكم. تهران: مركز نشر فرهنگي رجاء.
٥. ---------- (١٣٧٧). ب: هزارو يك كلمه. قم: دفتر تبليغات اسلامي.
٦. --------- (١٣٧٩). هزارو يك كلمه. قم: مركز انتشارات دفتر تبليغات اسلامي حوزه علميه.
٧. ---------- (١٣٨٠). الف: گنجينه گوهر روان. قم: نثر طوبي.
٨. ---------- (١٣٨٢). صدو ده اشاره. قم: الف، لام، ميم.
٩. ---------- (١٣٧٧). انسان در عرف عرفان. چ ١، تهران: نشر سروش.
١٠. ---------- (١٣٨٠) عيون مسائل نفس و سرح عيون در شرح. مترجم: محمدحسين نائيجي، ج١ و ٢، قم: نشر قيام.
١١. ---------- (١٣٨٦ب). شرح فصوص الحكم قيصرى. ج١، چ٢، قم: بوستان كتاب.
١٢. ---------- (١٣٨٧ب). دروس شرح فصوص الحكم قيصرى. قم: بوستان كتاب.
١٣. ---------- (١٣٨١) هزار و يك كلمه. ج١، ٣، ٤، ٥، ٦ و ٧، چ٢، قم: بوستان كتاب.
١٤. ---------- (١٣٨٧). شرح فارسى الاسفار الاربعه، قم: مركز چاپ و نشر دفتر تبليغات اسلامى حوزه علميه قم.
١٥. ---------- (١٣٩٠). اتحاد عاقل به معقول. قم: بوستان كتاب مركز چاپ و نشر دفتر تبليغات اسلامى حوزه علميه قم.
١٦. ---------- (١٤٢٩). سرح العيون فى شرح العيون. قم: بوستان كتاب مركز چاپ و نشر دفتر تبليغات اسلامى حوزه علميه قم.
١٧. الطوسى، محمد بن الحسن (١٤٠٧). تهذيب الأحكام، محقق: حسن الموسوى‌خرسان. تهران: دار الكتب الإسلاميه.
١٨. عزيزي، عباس (١٣٨١). فضايل و سيره چهارده معصوم عليهم السلام در آثار علامه حسن-زاده آملي. قم: انتشارات صلاة.
١٩. الكلينى، محمد بن يعقوب (١٤٠٧). الكافي. تحقيق و تصحيح: علي اكبر غفاري ومحمد آخوندي، تهران: دارالكتب الإسلامية.
٢٠. المجلسى، محمدباقر بن محمد تقى (١٤٠٣). بحار الأنوار. تحقيق و تصحيح: جمعى از محققان. بيروت: دار إحياء التراث العربي.